

إحياء علوم الدين

وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش وكرسيه فإن ذلك محال بل أراد به أنه مملكة الإنسان والمجرى الأول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه .

بيان جنود القلب .

قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو سبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو .

ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا .

وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فإن جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء .

وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة تعالى فإنهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها والأجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباع على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى سبحانه وقطع المنازل إلى لقائه فلأجله خلقت القلوب .

قال اﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﻣﺎ ﺧﻠﻘﺖ ﺍﻟﺠﻦ ﻭﺍﻟﺒﻨﺎﺱ ﺇﻻ ﻟﻴﻌﺒﺪﻭﻥ ﻭﺇﻧﻤﺎ ﻣﺮﻛﺒﻪ ﺍﻟﺒﺪﻥ ﻭﺯﺍﺩﻩ ﺍﻟﻌﻠﻢ .
ﻭﺇﻧﻤﺎ ﺍﻟﺄﺳﺒﺎﺏ ﺍﻟﺘﻰ ﺗﻮﺼﻠﻪ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺰﺍﺩ ﻭﺗﻤﻜﻨﻪ ﻣﻦ ﺍﻟﺘﺰﻭﺩ ﻣﻨﻪ ﻫﻮ ﺍﻟﻌﻤﻞ ﺍﻟﺼﺎﻟﺢ ﻭﻟﻴﺲ ﻳﻤﻜﻦ
ﺍﻟﻌﺒﺪ ﺃﻥ ﻳﺼﻞ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﻣﺎ ﻟﻢ ﻳﺴﻜﻦ ﺍﻟﺒﺪﻥ ﻭﻟﻢ ﻳﺠﺎﻭﺯ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻓﻴﻦ ﺍﻟﻤﻨﺰﻝ ﺍﻟﺄﺩﻧﻰ ﻻ ﻳﺪ
ﻣﻦ ﻗﻄﻌﻪ ﻟﻠﻮﺼﻮﻝ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻤﻨﺰﻝ ﺍﻟﺄﻗﺼﻰ ﻓﺎﻟﺪﻧﻴﺎ ﻣﺰﺭﻋﺔ ﺍﻻﺧﺮﻩ ﻭﻫﻰ ﻣﻨﺰﻝ ﻣﻦ ﻣﻨﺎﺯﻝ ﺍﻟﻬﺪﻯ ﻭﺇﻧﻤﺎ
ﺳﻤﻴﺖ ﺩﻧﻴﺎ ﻟﺄﻧﻬﺎ ﺃﺩﻧﻰ ﺍﻟﻤﻨﺰﻟﺘﻴﻦ ﻓﺎﻧﺰﻩﺭ ﺇﻟﻰ ﺃﻥ ﻳﺘﺰﻭﺩ ﻣﻦ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻌﺎﻟﻢ ﻓﺎﻟﺒﺪﻥ ﻣﺮﻛﺒﻪ ﺍﻟﺬﻯ
ﻳﺼﻞ ﺑﻪ ﺇﻟﻰ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻌﺎﻟﻢ ﻓﺎﻧﺘﻘﺮ ﺇﻟﻰ ﺗﻌﻬﺪ ﺍﻟﺒﺪﻥ ﻭﺣﻔﻈﻪ ﻭﺇﻧﻤﺎ ﻳﺤﻔﻆ ﺍﻟﺒﺪﻥ ﺑﺎﻥ ﻳﺠﻠﺐ ﺇﻟﻴﻪ ﻣﺎ
ﻳﻮﺍﻓﻘﻪ ﻣﻦ ﺍﻟﻐﺬﺍﺀ ﻭﻏﻴﺮﻩ ﻭﺃﻥ ﻳﺪﻓﻊ ﻋﻨﻪ ﻣﺎ ﻳﻨﺎﻓﻴﻪ ﻣﻦ ﺍﺳﺒﺎﺏ ﺍﻟﻬﻼﻙ ﻓﺎﻧﺘﻘﺮ ﻻﺟﻞ ﺟﻠﺐ ﺍﻟﻐﺬﺍﺀ
ﺇﻟﻰ ﺟﻨﺪﻳﻦ ﺑﺎﻃﻨﻰ ﻭﻫﻮ ﺍﻟﺸﻬﻮﺓ .

ﻭﻇﺎﻫﺮﻭ ﻫﻮ ﺍﻟﻴﺪ ﻭﺍﻟﺄﻋﻤﺎﺀ ﺍﻟﺠﺎﻟﺒﻴﺔ ﻟﻠﻐﺬﺍﺀ ﻓﺨﻠﻖ ﻓﻲ ﺍﻟﻘﻠﺐ ﻣﻦ ﺍﻟﺸﻬﻮﺍﺕ ﻣﺎ ﺍﺣﺘﺎﺝ ﺇﻟﻴﻪ ﻭﺧﻠﻘﺖ
ﺍﻟﺄﻋﻤﺎﺀ ﺍﻟﺘﻰ ﻫﻲ ﺃﻻﺕ ﺍﻟﺸﻬﻮﺍﺕ ﻓﺎﻧﺘﻘﺮ ﻻﺟﻞ ﺩﻓﻊ ﺍﻟﻤﻬﻠﻜﺎﺕ ﺇﻟﻰ ﺟﻨﺪﻳﻦ ﺑﺎﻃﻨﻰ ﻭﻫﻮ ﺍﻟﻐﺼﺐ ﺍﻟﺬﻯ ﺑﻪ
ﻳﺪﻓﻊ ﺍﻟﻤﻬﻠﻜﺎﺕ ﻭﻳﻨﺘﻘﻢ ﻣﻦ ﺍﻟﺄﻋﺪﺍﺀ .

ﻭﻇﺎﻫﺮ